

# أثر الدين في ظهور الأدب

الدكتور عبد الرزاق صميدة

رئيس قسم اللغات بالكلية

للأدب تعريفات متعددة ؛ بعضها قديم ، وبعضها حديث . ولكنها كلها تدور حول وصفه بأنه : نوع من الكلام ، ممتاز بحسن الصياغة ، وجمال الفكرة ، وقوة التأثير .

وقد خضع هذا الأدب في نشأته وتطوره لعوامل متعددة ، وعنى تاريخ الأدب بتلك العوامل ومدى تأثيرها ، وقوتها أو ضعفها ، في عصور التاريخ ، واستماع هذا التاريخ الأدبي ورجاله ، بالفكر والاستقرار النظري ، أن يلحظوا أثر هذه العوامل ، وأن يعقدوا صلة بينها وبين النفس الإنسانية التي يفيض منها الأدب .

وأهم ما قيل في ذلك أن النفس الإنسانية تستجيب للوثرات الخارجية والداخلية ، وتنفعل بها على نحو ما ، فإذا كانت من ذوات المواهب البائية انطلقت بما يشجبها ، واندفعت في تسجيل عواطفها شعراً أو نثراً .

حدث ذلك من قديم الزمن ، لأن المواهب الفطرية قديمة قدم الإنسانية ، وكذلك الماثرات التي تحرك هذه المواهب ، وتثير العواطف . ويجوز لنا — على هذا — أن نقول مع القائلين إن الأدب قديم ، ظهر مع الإنسان البدائي . وتأثر بالعوامل الفطرية التي وجدت معه في أول عهده بالحياة .

والدين ، أو الدين ، من أهم العوامل التي أثرت في حياة الإنسان منذ نشأته لأنه فطر في الناس ، بعده بعضهم غريزة ، وي بعده بعضهم قوى الصلة بغريزة الخوف ، ويعرفونه بأنه : الاعتراف بالقوى العلوية ، وأداء الواجبات التي يفر عنها هذا الاعتراف . أو بأنه : الشعور بخضوعنا لوجود لا يناله إدراكنا ،

وتعددت هذه القوى في عهود البداوة الأولى، وملا الإنسان حياته بأله تسيطر على حياته وعلى السكون الذى يعيش فيه، وجعلها مراتب، وجعل بينها وبينه نسباً، وخلع عليها كثيراً من صفاته النفسية كالحب، والخصم، والحسد، والطمع، والرضا، والانتقام.

وخشى الإنسان بأس هذه الآلهة، وطمع في ثوابها ورضائها ومساعدتها فعبدها، وتقرب إليها، وصلى لها، وناجها سراً وعلانية، وصورها في خياله ووهمه، وأجرى ذلك على لسانه، وحدث به نفسه ومن حوله، واختار لذلك أحسن ما يوجد به بيانه، فظهر أدب للآلهة وحول الآلهة، في صورة دعاء وضراعة، وصلوات وأناشيد وترانيم، وقصص وأساطير.

وقد حاول بعض الباحثين أن ينظر إلى الأدب في عهود الصيد والرعي ونظام القبائل فرأى الدين سلطاناً كبيراً عليه، فالله الأنهار والأشجار، وآلهة الصيد والرعي والمطر، والزرع والثر، كلها توحى بأدب ديني يتحدث فيه الناس عن أعمال الآلهة ومساكنها. وعن الصلة بين بعضها وبعض، وبينها وبين الناس، ويحدث إليها ضارعا أو شاكراً، أو مستعيناً على أعدائه من الناس والحيوان والآفات.

فإذا صار الحكم أو توراتياً، والحاكم فيه مطلقاً لا شريك له في إدارة الدولة، أكبره الناس ونسبوه إلى الآلهة، وصارت هذه الآلهة ذات فضل على الناس لأنها تكرمت عليهم، فوهبتهم هذا الحاكم من ذريتها، ليكون لهم مرشداً وحامياً، ومصدراً للخير والسعادة، ومن وراءه آباؤه أو الخامون له من القوى العلوية، التى تستحق عندئذ قصائد المدح، وصلوات الشكر، وآيات الإبهال وأناشيد التسبيح بحمدها، وأما الملوك الذين هم من سلالة الآلهة، أو خلفاؤها بين الناس فهم مقدسون، يتحدث الأدب عنهم حديث الإكبار والتفديس، ويربط أسماءهم وأعمالهم بتلك الآلهة أو القوى. ويروى أخبارهم في قصص وملاحم. نراها في أساطير الأمم القديمة كاليونان والهند والمصريين.

ويظهر التمسك في هذا العهد الأوتوقراطي ، وتدور حكايته حول موضوعات دينية . ومسرحة هو العيد . والمشون فيه من رجال الدين . وتكون احتفالات الدينية مسرحيات يشترك فيها السوك والسكينة . كما كان في مصر القديمة .

ويعد رجال الدين في طليعة الأدباء في تلك العصور السحيقة . فمهم بتقافة أوسع من غيرهم . وفدركهم على فهم الرسوم والتقاليد الدينية . وظهورهم يتغير الواسطة بين الناس والآلهة . وهم الذين صاغوا عقائد الدين ، وأنشئوا الشكر ، وآيات الصلوات والدعاء . وغلب الشعر على ذلك الأدب الديني بسبب حفظه ، ويعذب في الأفواه ترديده .

وهذه الأحكام النظرية اهتدى إليها الإنسان بدراسة للأمم الفطرية التي تعيش في عصورنا الحديثة . التي رأى العلماء فيها صوراً من الإنسان الأول ، وفي دينها وأديها شها بما كان في العهود السحيقة ، وفي العصور التاريخية تأيدت هذه الأحكام بما جاء إلينا من آداب الأمم التاريخية ودياناتها ، كالهند والمصريين والكلدان والآشوريين والبابليين والعبرانيين ، واليونان والسويوتون ، وبما حدثنا به تاريخ الأدب في الأمم الحديثة .

#### في مصر القديمة :

وأن أقدم أثر أدبي عرفناه عن مصر القديمة هو كتاب الموتى ، الذي دون أولاً في عصر بناء الهرم الأكبر ، وهو كتاب ديني صميم في محتوياته ، وفي الباعث عليه فإنه يشتمل على كثير من صلوات القوم ومواعظهم وأخبار آلهتهم . وآرائهم في الحياة بعد الموت . وفيما ينبغي للأرواح أن تقول له يوم الحساب دفاعاً عن نفسها في قاعة العدل ، أمام الإله أوزيريس وقضائه الاثنين والأربعين .

وكان الكهنة يترتلون فصولاً من هذا الكتاب في احتفالات الجنائز ،

وكان أفراد أسرة الميت مجتمعون عند إحياء ذكرى فقيدهم ، فيتنون منه قطعاً في غرفة القبر ، معتقدين أن روح الميت تسمعهم وقت التلاوة ، وتستفيد منها يتنون ، وتستعين بذلك على اجتياز المحن التي تصادفها في طريق الآخرة .

وكان من عادة قدماء المصريين أن يضعوا هذا الكتاب المقدس مع الميت في قبره ، ويختاروا آيات منه يكتبونها على جعل أو على ورقة بردي ، يضعونها في رقبة الميت يوم دفنه تيمناً له ، تحببه إلى الآلهة ، وتستميلهم ليغفروا له ذنوبه ، وليعفوا عن سيئاته .

ومن أقدم الصور الأدبية الدينية عند المصريين القدماء صورة اليوم الآخر . وقاعة الحساب أو العدل التي يجلس فيها الإله أوزيريس ليقضى في مصير الميت ، ومن المناظر البديعة في تلك القاعة منظر الإلاهة « معات » إلاهة الحق والخير والاستقامة ، جاثية في كفة الميزان اليمنى ، وأمامها في الكفة اليسرى قلب الميت ، رمزاً لأعماله ، فإذا كان الميت صادقاً في دفاعه عن نفسه استقام الميزان . والمشرف على الكفتين ومراقبة الميزان هو الإله « حورس » برأس صقر ، وأنوبيس برأس ابن آوى ، ويدون نتيجة الحكم الإلهة « تحوت » برأس الطائر إيبس .

ومن أقدم القصص المصرية التي عرفت قديماً . ومرت بمراحل من التطور ، ثم انتقلت إلى اليونان والرومان ، وعرفت في العصور الحديثة ، قصة « أوزيريس » الإله الذي تقدم اسمه هو وزوجته إيزيس ، وهي القصة المعروفة باسم : قصة « إيزيس وأوزيريس » التي تبين لنا « أوزيريس » خيراً صالحاً هادياً للناس إلى الخير وإلى إصلاح الأرض ، ولكن أخاه « ست » ، أو « تيفون » الذي يمثل الشر والحقد ، يقتله ، فتحزن عليه زوجته « إيزيس » حزناً عظيماً وتأبى أن تزوج . قاله « تيفون » ، فتعطف عليها الإلهة وتعيده إلى الحياة ، ولكن « ست » يقتله مرة ثانية . ثم تعيده الإلهة إلى الحياة . فيضيق ذرعاً بالشر والخطايا ، ويفضل أن يذهب إلى الآخرة إلهاً كبيراً بين آلهة الحساب ،

ويصبح رئيس لقاعة العدل التي يحاسب فيها الخلق على ما قدمت أيديهم في هذه الدار الدنيا .

وامتلات الآداب المصرية القديمة في عبود مختلفة ، لأدب الكشي من المدين : بعضه تشييات ، وبعضه صوات ودعوات . وبعضه تقديس لآلة من أمثال : آمون ، ودهوت ، ودفاح ، وبخاسة في عهد الخاتون ، الذي ينسب إليه تغيير عبادة : آمون ، ودعوتته إلى إله واحد مثله قرص الشمس . وسماه باسم : أتون . .

فالدين في مصر القديمة ترك آثاراً عظيمة في أدبها . وكان سبباً في ظهور الأناشيد والصلوات والأساطير الخاصة بالآلهة . وترك سبباً في غيرها من البلدان مثل اليونان والرومان .

#### عند الهنود :

وأقدم أثر أدبي عند الهنود هو : الفيدا ، وهو الكتاب المقدس عند الهندوس ، يؤمنون بأنه وحى من الله إلى قادتهم وأنبيائهم في الأزمان الأولى . وتلقاه عنهم البراهمة ، وهو مشتمل على ترانيم وصلوات ودعوات . تتم عن روح ديني محض ، لأنها موجهة إلى القوى المسيطرة على الحياة من حولهم ، شكرآ لها على نعمها ، أو ضراعة إليها أن تكف أذاها . وفيها ترانيم عن الحياة الآخرة أيضاً .

وظهرت الماهاهارتا ، المتحمة الهندية الكبيرة متأثرة بالدين ، فإن براهما الإله الأعظم عند الهندوس القدماء ، هو الذي أوحى بها إلى شاعرها : فاليكو ، وأختار لها البحر الذي ظهرت فيه ، وقال شاعرها : « يارادى خرجت تلك الكلمات من فمك ، وسيشهر هذا الوزن بعدك » . ويبدو أن بركة هذا الإله نزلت على شاعرها فطال نفسه فيها حتى بلغت أحيانها ( ٢٠٠٠٠٠ ) مائتي ألف بيت .

ويراه هذه الكتاب يأتي له ، برحمتنا ، ود اليوبيل ، وهي كتب  
الوحي عند الهندوكيين ثم تأتي الفيداتا ، أو ختام الفيدا ، وهو فلسفة الدين  
أو العقيدة عند الهندوكيين ، ولكنه ممتاز بحسن عباراته وتشبيهاته ، فهو  
كتاب أدب أيضاً .

ودفعت العاطفة الدينية الهندوس في القرن السادس الميلادي إلى كتابة  
ال ويرانا ، وهو مجموعة من القصص التي تداولها الناس عن الآلهة ، وتلقاها  
الآبناء عن الآباء . وكانت عند كتابتها قد وصلت إلى مرحلة عالية من النظام  
والجمال الأدبي ، وهو موسوعة كبيرة فيها الشيء الكثير عن حياة الآلهة  
والقديسين ، وفيها قصص عن الخلق ، وترانيم دينية .

أى أن أدب الهند القديم تأثر بالدين ، بل كانت ملاحمه الكبرى وكتبه  
المقدسة مدينة في نشأتها وظهورها إلى الدين والآلهة ، وهي وحي منهم في  
معناها وصورتها .

#### عند الفرس :

وتعد شخصية زرادشت ، عند الفرس من أقدم الشخصيات الدينية  
وظهرت حول مولده أسطورة تقول إن هاتفاً جاء إلى أمه عند حملها به ،  
يخبرها بما ينتظره من مستقبل عظيم ، وأنه سيرج إلى السماء حيث يتلقى عند  
الإله ، أهورا مزدا ، - إله الخير - كتاباً مقدساً فيه تعاليم دينه . هو والأفستا ،  
وقد سبقه أساطير وقصص عن الآلهة القديمة والأوثان التي كانوا يعبدونها .

#### في الأدب العبري :

والأدب العبري القديم الباقي إلى الآن هو الكتاب المقدس الذي  
أوحى به إلى موسى وعيسى . وبعد من آيات الأدب عندهم . ولولا الدين  
ما ظهر هذا الأدب ولا تداوله الناس . وينقسم الكتاب المقدس إلى العهد  
القديم أو التوراة والعهد الجديد . أو الإنجيل .

ويتفق اليهود والنصارى على العهد القديم أو التوراة . وهو أساس الأدب العبرى ، وأساس الديانة المسيحية ، ويعد الكتاب الرئيسى فى آداب الأمم المسيحية .

وفى العهد القديم قصص وسير وروايات تعد من الأدب الجميل ، وقد نشأت هذه القصص والسير والروايات نشأة ديدية . وترعرعت فى منبتها الأول ، ثم انتقلت شعراً ونثرأ إلى أوربا ، فصاغها الأدباء وأبدعوا فى صياغتها وأضافوا إليها خيالاً عبقرىأ أحيانأ ، ولكن كثيراً منهم لم يزد على جمال الأصل وقوة يانه كثيراً . ومن الآخذين من الكتاب المقدس « جن ملتن » ، أعظم شعراء إنجلترا بعد شكبير ، أخذ قصة الخلق وخروج آدم من الجنة ، وسماها « الفردوس المفقود » فكساها من أدبه ثوبأ رائعأ ، وخلدت اسمه فى تاريخ الأدب والملاحم . وقصة الخلق هذه وردت فى سفر التكوين من التوراة . وهى مشهورة جداً فى الأدب .

ومن القصص التى شاعت فى الآداب الأوربية قصة الطوفان ، وامرأة نوح ، التى كانت موضع زيادة فكاهية فى القصة . وشاعت فى الآداب الشرقية والغربية قصة يوسف ومجيئه إلى مصر وحياته فيها ، وتعد هذه القصة كاملة من الناحية الفنية .

وفى سفر القضاة من العهد القديم قصة « شمشون الجبار » الذى تزوج فتاة من الأعداء عرفت منه سرأ فأخبرت به . وتزوج أخرى ، ثم تزوج « دليله » التى تأمرت مع أعدائه عليه ، وعرفت منه أن سر قوته الخارقة يكن فى شعره ، فقاظله الأعداء وهو نائم وقصوه ، فذهبت قوته ، فقلعوا عينيه ، وأوثقوه بسلاسل حتى يقتلوه . ولكن شعره نبت ، فعادت إليه قوته وإن لم يعد بصره . وفى إحدى الميالى أراد الأعداء أن يلهوا بشمشون فى حفل عظيم أقاموه . فطلب من الغلام الذى يقوده أن يدلّه على العمودين اللذين يقوم عليهما المكان ، ثم أمسكهما وجذبهما ، فسقط البيت على شمشون وعلى أعدائه . فكان من قتلهم فى موته أكثر من قتلهم فى حياته .

وقد أخذ ملتن هذه القصة وكتبها شعراً باسم "Samson Agonistes" وتناولها الكاتب الفرنسي سانت Saint-Soes في رواية تمثيلية عظيمة . وتناولها كثيرون غيرهما في القديم والحديث، ومثلت عندنا في مصر كثيراً . وهناك شخصيات أخرى وحوادث متعددة في العهد القديم، تمتاز بقوة التصوير . وسمو اليان مثل داود وسليمان . ويعد «سفر أيوب» ، الثامن الصابر ، الذي يصارع الآلام ويتغلب عليها بإيمانه ، من أجمل ما يرى الناس من الشعر الرقيق العاطفي ، حتى إن ترجمة هذا الشعر إلى أى لغة تقصر في نقل جماله ورقته وقوته ؛ ومن أمير داود — والمعركة عندنا باسم الزبور — تعد من عيون الأدب الديني أيضاً .

وأما العهد الجديد المشتمل على تاريخ حياة السيد المسيح فقد تغلغل في كل الأوساط والأمم حتى غير المسيحية ، وتركت حياة المسيح والقدسين والشهداء آثاراً لا حصر لها في الأدب العالمي تمثيلاً وتراجيحاً وملاحم وغناء . فالدين اليهودي والمسيحي كانا سبياً في ظهور أنواع من الأدب لا حصر لها أولها الكتاب المقدس . أما آخرها فما زال متدياً ، ومن أحدثها في أدبنا العربي كتاب الدكتور محمد كامل حسين المسمى «قرية ظلمة» ، ومن قبله أهل الكهف لتوفيق الحكيم وغيرهما كثير .

### أثر الدين والأساطير اليونانية :

فإذا أولينا وجهنا شطر الأدب اليوناني رأينا الدين ذا أثر كبير في نشأة أنواع منه وتطورها ، ووجدناه من أقدم المؤثرات فيه . وارجع إلى أقدم آدابهم وهو الإلياذة ، تجددها مملوءة بالأساطير الدينية التي تحدثت عن الآلهة وتقص أخبارهم وتصف مساكنهم وأعمالهم وصلتهم بالناس . ولم تكن هذه الأساطير مع ذلك وليدة العصر الذي عاش فيه هوميروس ولا من ابتداء

بل ورثتها الأجيال، ثم جمعها «هوميروس» في القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد، وأحسن التعبير عنها فأكسبها بيانه قوة وسحراً وخلوداً .

وكانت نشأة المسرحية عند اليونان دينية في الاحتفالات التي كانت تقام في عيد الإله ديونيسوس Dionysus إله العنب واخر .

وأشهر كتاب المأساة عندهم إسخيولوس Aeschylus وسوفوكليس Sophocles اللذين استعانا بالأساطير . فالأول كتب سبعين مأساة كلها تدور حول موضوعات دينية وأسطورية ، وكان يقول عن رواياته : «إنها» فئات تناثر من مائدة هوميروس » . وسوفوكليس كتب أكثر من مائة مأساة تدور حول الدين . والأساطير اليونانية مملوءة بآثار الدين وشخصياته وبالآلهة وصلتها بالناس . ومن هذه الأساطير ما يروى أن فينوس إلهة الجمال كرهت سيكى « Syche » ، بنت أحد الملوك لأنها كانت تنافسها في الجمال ، وأمرت ابنها كيوييد « Cupid » ، أن يقتلها ، فلما رآها وقع في حبها ، لكنه اتفق معها ألا تنظر إلى وجهه أبداً ، فاستبد بها الشوق ، ولم تستطع تنفيذ هذا الشرط ، فأوقدت مصباحاً واقتربت منه وهو نائم ، فوقعت نقطة من زيت المصباح على وجهه فاستيقظ وفر من النافذة ولم تره بعدها .

ووجد كثير من هذه القصص طريقه إلى الخلود عند اليونان وبعدهم وخصوصاً في عهد النهضة الأوروبية .

ونشأت الكوميديا دينية كالمأساة . وغاب على الملاحم أثر الدين القديم وربما تركت هذه الاتجاهات الدينية صدًى في بعض الأدباء من شعراء النضال فكتبوا أناشيد دينية وتراثيل ، بل إن الدين اليوناني القديم ترك أثراً عاكساً في شاعرهم يوريبديس Euripedes فظهر في ملاحمه بعض الإلهاء وعدم الإيمان بآلهة الأساطير .

أعني أن الديانة اليونانية القديمة تركت آثاراً عظيمة في الأدب اليوناني،

فأقدم مانعرفه من ملاحهم مشحون بالأساطير . ونشأت المأساة والمهابة نشأة  
دينية ، وألحد يوريندس في الدين فظهرت المواقف الإلهادية وعبارات  
الشك والسخرية أحيانا في مسرحياته .

### عند الرومان

وانتقل كثير من أساطير اليونان وأدهم عامة إلى بلاد الرومان ، وقلد  
الرومان أسانذتهم في الأدب والفن ، وظهرت ملحمة رومانية عظيمة هي  
الإنياذة ، « Aeneid » كتبها شاعرهم الكبير فرجيل « Virgil » ، وظهر تأثير  
الدين فيها باستخدام الأساطير القديمة . ومحاولة ربط نسب الإمبراطور  
أغسطس بالآلهة . وهو الذي ظهرت في أيامه الملحمة . وقد جعلته من ذرية  
فينوس « Venus » ، إلامه الجمال عند اليونان . اتصل بها جده « Anchises » ،  
أنشيز ، فولدت له إنياس « Aeneas » ، الذي سميت الملحمة باسمه ، وجاء هذا  
الأمير « إنياس » ، إلى روما بعد أهوال . منها أن الرياح أثارت العواصف  
لتفرقه هو وأصحابه ؛ لكن « نبتون » ( Neptune ) إله البحر لم يلبث أن أسكن  
الريح ، ورسست سفينته على شاطئ ليبياء ، وشكت فينوس إلى أبيها جوبيتر « Jupiter »  
كبير الآلهة ، فأخبرها أن له في الغيب ملكا كبيرا ينشئه في بلاد الرومان  
ويرثه أولاده من بعده . وكان من ذريته الامبراطور أغسطس .

ومن مظاهر الآثار الدينية فيها تلك الرحلة التي ذهب فيها إنياس إلى الجنة  
ليلتقي بروح أبيه أنشيز . فهدته الكاهنة « سنيل » ، « Sibyl » ، الطريق في مغامرات  
وأهوال ، حتى بلغا معا الإليزيوم « Elysium » ، أو جنة الأبرار عند اليونان .

وذهب إنياس إلى إيطاليا ولى حروبها وأهوالها اشتربت فيها الآلهة ، بانعون  
والنداء ، له أو لأعدائه ، ثم انتصر : وأنشأ مدينة روما على شط نهر التيبر « Tiber » ،

فالأساطير الدينية كانت ذات أثر واضح في الإنياذة ، وكانت دراسة

فرجيل الإيذاة بأساطيرها وآفته وحروبها ، وماطر بعد من أساطير رومانية وآفة وإلاهات ، ذات طابع خاص في الإيذاة . وكانت مشاهد الدار الآخرة صورة من صور الإيمان بها وفكرة الرومان عنها .

وظهرت الكوميديا المقدسة في الأدب اللاتيني في القرون الوسطى . للشاعر الكبير « دانتى الجيرى » وفيها مشاهد لقيامة أو الدار الآخرة من عذاب ونعيم ، فليل إنها متأثرة بمسحة الغفران لأبي العلام ، وقيل إنها متأثرة بالأساطير اليونانية والرومانية بجانب الديانة المسيحية . وهى على كل حال عمل خالد بقوة تصويبه لأفكاره . وهى أثر من آثار الدين أوحى به ظروف خاصة عاشها دانتى ، وآخر مشهد فيها هو « ثيردوس » وكانت تهديه فيه « ياترشي » حبيبته . ويرى « دانتى » مشهداً رائعاً يمثل الكنيسة ماضية في طريقها إلى النصر . وآخر مشهد له هو السماء التاسعة ، ويعلوها بحر هادى ساكن من الحب الإلهى حيث يبارك الله ملائكته وقديسيه ،

### في الأدب الانجلىزى

وفي انجلترا يعدون من أقدم أدبايهم شاعرين عاشا في العصور الوسطى هما كادمن ، Cadmon ، وسابنولف ، Cynewulf ، وقد ظهر أدبهما متأثراً بالدين فظم الأول سفرين من أسفار العهد القديم . هما سفر التكوين وسفر الخروج . وألف الثاني ثلاث قصائد جمعت بعنوان « المسبح » ولا نسى أن أهم عمل شاعرهم تشوسر ، Chaucer . هو قصص كانتربرى The Canterbury Tales وهو مجموعة من القصص كان مفروضاً أن يقصص طوائف من الحجاج في طريقهم إلى عريخ القديسين . وفي عودتهم منه وهو عمل أدبى عظيم ، جعل الشعر محوراً لتقاء الحجاج في فندق نزولوا به للمراحة .

وكانت فكرة أخج أساسا، ليكون رواية القصص من طوائف مختلفة يقصون قصصا مختلفة كما هي طبيعة الحج .

ونشأت المسرحية الانجليزية الحديثة دينية كذلك . نشأت في الكنيسة وكان موضوعها دينيا ، ومثلوها من الكهنة ، وموعدها المواسم الدينية خصوصا عيد الفصح . كان رجال الدين يعلمون الناس شعائر الدين وقصصه تمثيلها في الكنيسة أمام أعينهم لأن أكثرهم كانوا يجهلون القراءة . ويعرف تاريخ الأدب نوعان من هذه المسرحية الدينية هما : المغمز الغامض بنسق The Mystery-Play ورواية المعجزة ، The Miracle-Play

كانت رواية المغمز الغامض ، تمثيلا لموضوع ديني هـ كميلاد المسيح أو البعث . وكان صلب المسيح ، وسقوط إبليس أيضا ، وقصة نوح ، محورا لمثل هذه الروايات كثيرا .

وتطورت هذه إلى رواية المعجزة وفيها ظهرت حياة تقديسين ، وتوغل الغرض ، وتولى شأنها رجال النقابات ، وأصبح مسرحها خارج الكنيسة ، وبقيت منها مجموعات تنسب إلى المدن التي كانت تمثل فيها مثل « كوفتري » ، و « يورك » ، و « تشستر » ، وكان عابعا أول الأمر زخرفة ووقارا ، لكن خروجها من الكنيسة إلى الشوارع ، وحاجة الجمهور إلى المرح ، وتدخل كتاب أو شعراء من غير رجال الدين ، كل ذلك سهل وجود الفكاهة فيها ، وساعدهم وجود شخصيات لا بأس من امتهانها أو السخرية منها مثل « امرأة نوح » ، التي لم تحزن موافقها من الصوفان وركوب السفينة . من عناء ونفاس ، فلما ضربها ركب موه ، ولكنها خلت مبعث تعب له . ولا نستطيع أن نبعد رواية الأخلاق ، The Morality-Play ، عن موضوعها وهي التي تحولت فيها الفضائل والثرذائل إلى شخصيات حفل بها المسرح . وكان دخولها في المسرحيات ذا أثر كبير في دراسة أصحاب هذه الفضائل والثرذائل وملاحظة نفسياتهم وخصائصهم .

كانت الإنجليزية لغة هذه الرواية من عهد نورد الثالث ( في القرن الرابع عشر ) وتطور أسلوبها وتحولت المسرحيات إلى التاريخ والمجتمع والسياسة وغير ذلك ، ولكن ظل ندين معيناً خصباً للمسرحيات ثم القصص الثرية والشعر الغنائي والملاحم إلى يومنا هذا .

ومن أهم الآثار التي تركها الدين في الأدب الإنجليزي ظهور ترجمة للكتاب المقدس تعرف بالترجمة الرسمية « The Authorised Version » ، ظهرت سنة ١٦١١م في أيام الملك جيمس الأول . وقد اشترك في نقلها سبعة وعشرون من العلماء الذين اقتسموا العمل بينهم . وراجعت كل جماعة عمل جماعة أخرى وقضوا في ذلك سبع سنين ، فجاءت الترجمة عملاً أدبياً عظيماً أفادت منه اللغة والأدب والعقيدة والأخلاق ، وصار مصدراً لكثير من الأعمال الأدبية في التمثيل والقصة والشعر الغنائي . بل إن كثيراً من الأمثال الشرقية والمعاني والأخيلة عرفت طريقها إلى الأدب الإنجليزي ، وظهرت في ثنايا كتاباتهم وأشعارهم بفضل هذه الترجمة الرسمية وغيرها من الآثار الأدبية الدينية .

وترجمت الكتب المقدسة الأخرى مثل « تيميدا » ، و « الأفسستا » ، والقرآن الكريم كما ترجمت أحاديث الرسول وقوال الأنبياء والقديسين في الأمم الأخرى إلى الإنجليزية . وإلى اللغات الحديثة كروسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والفرنسية ، وكان نقلها لأغراض دينية أو علمية ، لكنها تركت في آداب تلك اللغات وفي عقول أبنائها آثاراً لا تنكر . ولولا منزلتها وقيمتها الدينية في تاريخ الهداية والرشاد وتأثيرها في العقول والأخلاق ما عرفت طريقها إلى لسان اللغات الحديثة .

ولا ينسى دارسو الأدب الإنجليزي أن أهم ملحمة عندهم هي « الفردوس المفقود » « Paradise lost » ، وقد أخذها شاعرها العظيم جون ملتن « Milton »

من سفر التكوين، وله أيضا شمشون الجبار (Samson Agonistes)، أخذها من سفر القضاة كما تقدم.

وعندم جن دريدن (J. Dryden)، (١٦٣١ — ١٧٠٠) وقد انجبه في كبره إلى الدين فكتب قصائد أوحى بها إيمانه، ودافع عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، كما يعد من أعظم كتابهم تأثيرا بالدين جن بانيان (J. Bunyan)، (١٦٢٨ — ١٦٨٨) لأنه كان متدينا ولاقى العذاب في سبيل عقيدته. وتأثر بالدين في أدبه، ومن أشهر أعماله كتابه الذى خلده بين أكبر الأدباء وهو رحلة الحاج (Pilgrims Progress)، وهو صورة حلم رآه يدور حول مسيحي قام برحلة، ورأى فيها أهوالا ولم يضعف إيمانه.

وظل الدين إلى الآن مصدرا وباعثا على كثير من الأعمال الأدبية في انجلترا وغيرها من البلاد.

## الإسلام:

أما الأدب العربى فقد تأثر أعظم الأثر بالإسلام، وظهرت فيه فنون لولا الإسلام لم تكن، والكتابة الخطية والإنشائية أثرا من آثار الإسلام بطريق مباشر أو غير مباشر. وأعظم أثر أدبى خالدهم القرآن، وأوحى الله إلى الرسول به بعد الرسالة. وكانت أحاديث الرسول ديننا محضا، ولولا الإسلام لم نسمع بهذه الأحاديث، وخذ أدبا كأدب الخوارج بما فيه من دفاع قوى عن العقيدة نثرًا وشعرا، والمدائح النبوية، وأخيرا القصص التى أوحى بها الدين إلى الكتاب والشعراء مثل الباذة أحمد محرم، وعلوية عبد المطلب وعمرية حافظ، ومدنح شوقى فى الرسول، ومحمد وأهل الكهف لتوفيق الحكيم، وقرية ظالمة لمحمد كامل حسين، وعبقریات العقاد عمر وخالد وعمر الخ كل هذا، وغيره كثير جدا فى الأدب العربى، كان من وحي الدين وأثرا من آثاره اعتقادا ودراسة، بل نستطيع أن نقول إن هذا الدين أحدث رد فعل فى أيامه

وبعدها . فأحدث حالة من القلق العقلي ، وأثار جدلاً أدبياً في أيام الرسول .  
وبعده . وأنبرى للدفاع عن الإسلام أهله ، ومازالوا كذلك إلى الآن ، ويتخذ  
دفاعهم صوراً متعددة منها البرهان والحجة ، ومنها الأدب الجميل القوي . وفي  
أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ثار جدل كبير بين كبار رجائنا  
والمستشرقين ، وما زالت المناسبات الدينية عندنا باعثاً على روايات مسرحية .  
وما زالت حاجة التلاميذ إلى غذاء روحي تحمل المؤلفين على كتابة قصص  
دينية وخلقية .

ولا أستطيع أن أحصى فضل الإسلام على الأدب . ولا أثره في ظهور  
أعمال أدبية عظيمة ، ولا فعله العظيم في نشر المعاني والموضوعات الدينية إلى  
غير اللغة العربية ، ويكفي أن تقرأ الأدب الفارسي أو التركي لتجد فيها من  
الأعمال العظيمة المتأثرة بالإسلام شيئاً كثيراً يعد من عيون الآداب العالمية .